الهوية بين الأمس واليوم

فتيحة كحلوش

أستاذ محاضر من الدرجة أ، قسم الأدب العربي، جامعة سطيف 2، الجزائر

الملخص

كان سؤال الهوية دائما سؤالاً إشكالياً لارتباطه بعدة مجالات (قانونية، دينية، عرقية، ثقافية..إلخ)، لكن الحديث حول قضية الهوية اليوم أكثر صعوبة من أي وقت مضى. فالتطور العلمي الذي دهم الإنسان المعاصر (نعني الثورة المعلوماتية والثورة الجينية) قد قلب وعيه بذاته وسحب منه هويته التي كان يظن أن ثوابتها أكثر من متغيراتها والجوهر فيها أكثر من العارض، والطبيعي أكثر من المكتسب. لقد وجد هذا الإنسان نفسه يعيش سلسلة من النهايات: نهاية الإنسان، نهاية التاريخ، نهاية العالم، نهاية الجغرافيا، نهاية المؤلف....إلخ. والنهاية هنا تعبير مجازي يرمي إلى الحديث عن المجتمعات الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة و سقوط جدار برلين، وهو ما أدى إلى حصول تغيرات تاريخية، سياسية، اجتماعية انقلب على إثرها العالم انقلاباً كبيراً وبدا وكأن كل شيء يقطع مع التاريخ السابق وينقطع عنه.

وعلى العموم، يعكس ذلك الاستعمال الانتقال إلى المجتمع الرقمي الذي، من فرط تطوراته التكنولوجية، يبدو وكأنه قضى على كل عصور الاختلاف، ووحّد الحضارات وعمّم أنظمة المعيشة، وهيأ أفضية متقاربة للحياة، فغابت – نتيجة لذلك – مفاهيم وقيم وتقدمت أخرى من قبيل المدينة الكونية، الهوية العالمية، المجتمع السبراني...

يسعى هذا البحث إلى مقاربة هذه التغيرات ووصف انعكاساتها على الهوية الإنسانية بشكل عام والهوية العربية بشكل خاص.

مقدمة

يعيش الإنسان المعاصر الذي يسمى أحياناً بالإنسان الرقمي سلسلة من النهايات: نهاية الإنسان، نهاية التاريخ، نهاية العالم، نهاية الجغرافيا، نهاية المؤلف... إلخ. والنهاية هنا تعبير مجازي يعود أصل استخدامه إلى الفيلسوف فوكوياما Francis Fukuyama في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر"[1]، الذي تناول المجتمعات الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط جدار برلين. وقد حدثت تبعاً لذلك تغيرات تاريخية، سياسية، اجتماعية، قلبت الكيان العالمي قلباً كبيراً فبدا كأن كل شيء يقطع مع التاريخ السابق وينقطع عنه، ومن هنا تتابعت استعمالات مصطلح النهاية في حقول متباينة.

وعلى العموم إن استعمال مصطلح النهاية يعكس - بشكل عام - الانتقال إلى المجتمع الرقمي الذي، من فرط تطوراته التكنولوجية، يبدو وكأنه قضى على كل عصور الاختلاف، ووحّد الحضارات وعمّم أنظمة المعيشة، وهيّأ أفضية متقاربة للحياة، فغابت - نتيجة لذلك - مفاهيم وقيم وتقدمت أخرى من قبيل "عولمة الزمان، كونية المكان، رمزية العمل، عمال المعرفة، وحدة السوق، التجارة الإلكترونية، القيمة المضافة، الطريق السريع للإعلام، الثورة العددية، الطوائف السبرانية، المدينة العالمية، سوق النظر، الميديا، عولمة الأنا، اختراق الهويات، تداخل الكوني والمحلي"[2]. ويقف المثقف - الذي تراجع دوره الأخلاقي في ظل فلسفة صناعة النجوم التي يمارسها الإعلام - مذهولاً أمام التحوّل القيمي، فهو موجود في كل مكان وعميقاً يعيش في اللّامكان، وهو مقيم في عزلته القصية على الرغم من تكاثر سبل التواصل المدهش ويسر الاحتكاك بالآخر البعيد والمختلف، وهو خارج الزمن على الرغم من ظهوره قابضاً على كل لحظات التاريخ، وهو عبد في النهاية على الرغم من كل ثورات التحرر ونظرياته المعاصرة. عبد للتقنية التي لها أزياء كثيرة تتزين في كل مرحلة بواحد منها وتقلب على الإنسان مفاهيم الزمان والمكان والمادة والهوية، و تجعل العالم ينفلت أمامه إلى "أشكال ممزقة من المعاني التي

تتكلم أصواتاً متعددة تتفق مع تباياناتها التي أفقدتها الكثير من تناغمها وعمقها، مما أدى إلى فقدان قابليتها لتنظيم حياة الناس وإعطائها معنى "[3].

لقد تراجعت اليوم - بشكل سريع وجارف - قيم الإنسان المؤنسن الذي صار كلاسيكيا أثرياً، وتقدمت قيم الإنسان الرقمي لتهيمن على كل أدوار حياتنا وتغيّر مفاهيم الحضارة والإنسانية والتاريخ لدينا؛ حيث لم يعد الإنسان حيواناً ناطقاً بل صار حيواناً يدوياً ينتج بيده، يفكر بيده، ويتكلم بيده. إنه رقم يتواصل مع شبيهه الرقم عبر كل أنواع الآلات، وقد أدى ذلك إلى ذوبان الذات وغياب الاختلاف؛ فأسّس العصر الرقمي لهوية نمطية أقل ما يقال عنها إنها الصورة بلا معنى، الجسم بلا أسرار أبدية، تلون الدالّ وغياب المدلول. لقد علق هربرت ماركوز Herbert Marcuse سابقاً على نتائج الفتوحات التقنية على الصعيد الإنساني قائلاً: "ففي الوقت الذي حلّ فيه إنسان المجتمع الصناعي - التكنولوجي المشكلات التي كانت تبدو وكأن لا حل لها، فإنه خان ودمّر الحقيقة التي كان يحميها تسامي الثقافة الرفيعة"[4] ثقافة الجميل في الإنسان، الإنساني في الإنسان. ولا يختلف الأمر اليوم بالنسبة إلى الوجه الآخر لفتوحات العصر الرقمي الذي غيّب الحدود واختصر المسافات، لكنه غيّب مع ذلك كثيراً من القيم التي صنعت الإنسان على مر العصور، وأدى هذا الأمر إلى حسرة مشابهة يعيشها مفكرو العصر.

تسعى هذه القراءة إلى تتبع بعض خصوصيات الهوية الجديدة لإنسان اليوم،

والقيم البديلة التي ترافقها في ظل التغيرات الفلسفية والسياسية والجغرافية

والتغيرات التي أفرزتها الثورة العلمية بشقيها (شق المعلوماتية وشق الهندسة الوراثية) وآثار ذلك على أخلاق الإنسانية عامة والإنسان العربي بشكل خاص. وسأتناول الموضوع عبر جملة من الأسئلة التي يتم البحث فيها بالاتكاء على مقولات بعض فلاسفة العصر ومفكريه وأدبائه.

1 - مفهوم الهوية.

2 - الإنسان الرقمي والهوية المتحولة.

3 - تواطؤ الرقمي والتقني على تحوير القيم الإنسانية.

4 - الهوية وخطر التماهي.

- خاتمة

1 - سؤال الهوية

كان الحديث عن مسألة الهوية - سابقاً - أمراً ممكناً ويسيراً في أغلب الأحيان، ينطلق من الذات العارفة التي تؤسس للمفهوم اعتماداً على اعتقادها بمعرفة ذاتها ومجتمعها وتاريخها ودون الأخذ بعين الاعتبار - في أغلب الأحيان أيضاً -إمكان التأسيس للمفهوم بالنظر إلى مبدأ "الغيرية". لكن قضية الهوية اليوم قضية شائكة، وكل المفاهيم التي يمكن أن نستنجد بها بوصفها خلاصاً فكرياً ندرك لاحقاً خيانتها لموضوعها ولنا، ولعل هذا ما جعل المفكر أمين معلوف يُسرّ لقارئه: "علمتني حياة الكتابة أن أحذر الكلمات، فتلك التي تبدو أكثرها شفافية هي - في أغلب الأحيان - أكثرها خيانة، أحد هؤلاء الأصدقاء المزيفين هو بالتحديد كلمة هوية، فجميعنا نعتقد معرفة ما تعنيه هذه الكلمة ونستمر بالثقة بها حتى عندما تبدأ هي بقول العكس بمكر"[5]. وقبل أمين معلوف كان ليفي شتراوس "Levi Strauss" قد وصفها بالمأوى الافتراضي الضروري لنا، الذي نعود إليه لتفسير عديد الأشياء، ومع ذلك فهي لا تملك أي وجود واقعي "L'identité est une sorte de foyer virtuel auquel il nous est indispensable de nous référer pour expliquer un certain nombre de choses,mais sans qu'il ait d'existence réelle"[6].

ولعل مصطلح الهوية سيزداد ارتباكاً كلما تقدمنا في الزمن؛ حيث نلحظ التقويض المستمر للمفاهيم والقيم، والتغيرات المتسارعة التي تصيب الإنسان المعاصر في جميع مناحي حياته وتجبره على تقمص هوية جديدة مبنية على التحيين الذاتي المتواصل.

تكاد تشترك المعاجم والمؤلفات القديمة، العربية منها والأجنبية، في

تعريف الهوية، على الأقل، في أبسط مفاهيمها. فهي في لسان العرب" حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره"[7]، وهوية الشيء في كتاب " التعليقات" للفارابي "عينيته، ووحدته،و تشخصه، وخصوصيته،و وجوده المنفرد له كل واحد. و قولنا إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، الذي لا يقع فيه اشتراك "[8].

والهوية في قاموس لاروس مجموعة الظروف التي تجعل من شخص ما ذلك الشخص بعينه "Ensemble des circonstances qui font qu'une personne est bien telle personne déterminée"[9]، وهي في معجم أكسفورد مُعرّفة كالآتي: [10]«who or what some body /some thing is»؛ أي أن هوية الشخص أو الشيء هي ما يكون عليه فعلاً. وهي من ثم الاختلاف والتميز عن الغير؛ أي ما يميز الشخص عن غيره. وهي هوية فردية. أما ما يميز الجماعة عن الجماعات الأخرى فهي هوية جمعية، بينما ما يميز الوطن أو الأمة عن غيرها من الأوطان والقوميات فهي هوية وطنية أو قومية "[11].

وكما نلاحظ، فهذه المفاهيم للهوية تصنّف بين الأنا والآخر وتميز بين الجماعات البشرية والأعراق؛ لأن الإنسان محتاج دائماً إلى اسمه وعائلته وخصوصيته الوطنية والدينية والعرقية لكي لا يكون نكرة أو مادة. إن الهوية تتحدد – كما يرى جان بيير فارنييه J.P.Warnier – بوصفها "مجموع قوائم السلوك واللغة والثقافة التي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية والتماثل معها، غير أن الهوية لا تتعلق فقط بالولادة أو بالاختيارات التي تقوم بها الذوات؛ لأن تعيين الهوية سياقي ومتغير. فالواقع أن التقاليد التي تنقل الثقافة عبرها، تبصم الإنسان، منذ طفولته جسداً وروحاً غير قابلة للمحو"[12] ولا شك أن هذه العناصر غير القابلة للمحو هي التي تعرّف بنا وبهوياتنا أكثر من غيرها. ولعل الإنسان المثقف مدعو أكثر من غيره أيضاً "لتشكيل منطق الخصوصية الذي تجد فيه كل ثقافة حقها في الاختلاف والمغايرة"[13] وحظها في أن تُبقي على تقاليد الجماعات البشرية الحميمة التي تشكل شرطاً إنسانياً مشروعاً في الحياة.

و مع هذا فالهوية ليست ساكنة، فهي ليست معطى يتلقى مرة واحدة، ولا هي حقيقة مطلقة يكتشفها المرء وتنتهي مشكلته بشأنها، ولا هي مجموعة اختيارات يتبناها الإنسان في مرحلة ما. إنها متطورة باستمرار، "فثوابتها هي متغيرات في الوقت نفسه، هي ثوابت من حيث تمييزها جماعة عن أخرى ولكنها متغيرة ومتطورة بتغير وتطور الجماعة وطبيعة علاقاتها مع الجماعات الأخرى عبر التاريخ، سواء كانت علاقات منتصر بمنهزم أم بالعكس. فالهوية : ليست أقنوماً ثابتاً وجاهزاً نهائياً، كما قد يفهم أحياناً، وإنما هي مشروع مفتوح متطور على المستقبل؛ أي متشابك مع الواقع والتاريخ"[14]، وهذا ما يجعل اللفظة "خائنة" بتعبير معلوف وبحاجة دائمة إلى إعادة التحديد. فكلما اخترقت الذات الثقافات والحضارات انزاحت – إن قليلاً أو كثيراً – عما كانت تظنه هويتها النهائية.

يمكن القول في هذا السياق أن الهوية تمتلك عناصر طبيعية وأخرى مكتسبة"، فالهوية تتحرك دائماً، لكن النواة الصلبة تظل تحكمها"[15]، ويظل تأويل "النواة الصلبة" هذه نسبياً؛ حيث نلاحظ في الدراسات التي اهتمت بموضوع الهوية بروز اتجاهين في الغالب، الاتجاه الكلاسيكي الذي ينتصر للعناصر التاريخية والدينية والعرقية في التأسيس لمفهوم الهوية، والاتجاه الحداثي الذي ينظر إلى أن الأساس الصلب في الهوية هو التحول. لقد أفردت الباحثة نيكول قيرو Nicole Giroux في هذا السياق حديثاً خاصاً للهوية وخلصت إلى مجموعة من المفارقات paradoxes التي ترافق محاولة ضبط مفهوم الهوية، ويمكن رصدها في النقاط الآتية :

1 – الهوية تتضمن عدة مستويات (أدوار، علاقات، مسؤوليات).

2 – الهوية تقتضي ضرورة العودة إلى الآخر دائماً من أجل الاختلاف وتأكيد الذات.

3 – الهوية مرتبطة بالزمن، فهي بناء تراكمي للتاريخ وهي لذلك تتحول وتبنى باستمرار.

4 – الهوية ترتبط باللغة والتواصل، فهي نشاط للتصنيف والتوصيف والسرد والمقارنة؛ لأنها في النهاية نمط من العلاقة مع الآخر.

5 – الهوية قضية متعددة الأبعاد (أبعاد اجتماعية، نفسية، ثقافية، إستراتيجية، سياسية، ثقافية. . .).

6 – الهوية تنطوي على مجموعة من التوترات: الوحدة والانسجام مقابل التعدد والتنوع، الثبات الماضي في مقابل التحول ومشروع الأنا المستقبلي، إرادة التميز الفردي مقابل الانتماء إلى الجماعة والتوافق معها[16]. وهذه التوترات يعيشها بشكل خاص الإنسان المفكر المحتاج إلى إعادة صياغة ذاته ومجتمعه باستمرار على ضوء متغيرات العصر ومعطياته الحضارية والعلمية؛ حيث تسمح صيرورة الرحلة الحياتية ومنطق التفاعل الحضاري بمحو عناصر "ذاتية" من ذواتنا واكتشاف عناصر أخرى نتلاقى عبرها مع الآخر "المختلف"، نشاركه الفكر والمعرفة والفلسفة وكثيراً من قيم الحياة. غير أن الاحتفاء الكلي باختلاف الآخر ونسيان المختلف في الذات له مآزقه، فحاجة الإنسان إلى اختلافه الخاص وتمايز هويته حاجة فطرية وضرورة إنسانية، يقول ألان فينكيلكروت Alain Finkielkraut في أثناء تلخيصه لكتابه "الهوية المعذبة": "يجب علينا أن نكافح محاولة اضطهاد الاختلافات وتنصيبنا في نموذج واحد,. إن ميراثنا الذي لا يصنع منا بالتأكيد كائنات متفوقة يستحق منا حفظه والإبقاء عليه ونقله"[17]. وإن كان الباحث يستدرك متسائلاً حول إمكانية الحفاظ على التراث ونقله في هذا العصر الذي استبدل بفن القراءة التواصل الإلكتروني الدائم ونبذ النخبوية الثقافية باسم المساواة.

وإذا كنا نركز منذ البدء على جانبي الاختلاف والتمايز بوصفهما أحد الشروط الأساسية للهوية الإنسانية، فلأن بعض اتجاهات الفكر المعاصر تجنح نحو محاولات تذويب الهويات أملاً بالهوية العالمية وأملاً في الوقت ذاته بتجاوز الإشكاليات العرقية والقومية وصولا إلى الذات "المفكرة" "المتعالية" التي لا تختصر تعريفها بنفسها في مجرد لغة أو وطن أو ديانة، وهذا ما يسميه هارفي مارشال Hervé Marchal" بالتوعك" داخل الهوية الفردية، وهو توعك يحصل

للفرد الذي يغير ثقافته بعد هجرة ما[18]، وهو ما حصل – فيما يبدو – للمفكر علي حرب الذي يقول في هذا السياق "لا أوثر عادة أن أقدم نفسي تحت خانة قومية أو دينية كمفكر عربي أو إسلامي، همي تجديد النهضة العربية، أو مناهضة المشروع الثقافي الغربي كما يفكر كثيرون يحشرون أنفسهم في الدوائر الإنسانية الخانقة العرقية أو الدينية. وإنما أتصرف بوصفي امرأ يقيم في هذا العالم، الذي أخذ يضيق لكي يقترب بعضه من بعض بحكم تصدع الحواجز المادية والرمزية بين البشر"[19]، وحديث علي حرب هذا جاء في إطار حديثه عن العولمة والإنسان الكوكبي، وهو حديث يطغى عليه – كما نلاحظ – الاحتفال من جهة، والتفاؤل بإمكانية الانخراط في الهوية العالمية الجديدة من جهة أخرى "ليست العولمة كما أكرر القول – يقول علي حرب – كارثة ولا هي فردوس، وإنما هي إمكاناتها المفتوحة، عند من يحسن التعامل معها بمنطق الخلق والتحول والاستثمار النافع أو البناء"[20].

من الانخراط في هوية تحتفل بالمحو وإعادة الكتابة إلى الدفاع عن فكرة اللّاهوية التي رافقت اختراعات السيبرنيتيكا وانتقال الناس إلى مدينتهم الجديدة، المدينة الكوكبية؛ حيث التنصل من الهوية المسبقة ومحاولة التجديد المستمر لها عبر الاختلاف المستمر عن الماضي/ الثابت والانفتاح على الحاضر/ المتغير، المتسارع بأحداثه ومنجزاته. تختلف قيمة عناصر الهوية هنا، الأهم هي العناصر المكتسبة، بها يقف الناس على أرض واحدة، ويكون التساوي بمدى الإبداع. تكون عالمياً بقدر انخراطك في فعل الإنتاج، عند هذه العتبة ينشغل المرء بالحاضر والمستقبل ناسياً ما مضى؛ لأن الذي مضى يظل حلماً رومانسياً فقط والعبرة هي بما سيأتي "فحياة الهوية وقوتها في عولمتها الثقافية وفتوحاتها الكوكبية وممارستها لامبرياليتها بمجاوزة مآزقها وإنتاجها لخوارقها من صناعات ومواهب أو رموز ومكاسب تعمل على تعميمها ونشرها"[21]، لكن السؤال الذي يقضّ مضجع الإنسان العربي هو كيفية عبور المأزق ومجاوزته إلى قوة الإمبريالية ومن ثم ممارسة إمبريالية الهوية.

2 - الإنسان الرقمي والهوية المتحولة

يطلق مصطلح الإنسان الرقمي على الإنسان المعاصر، إنسان الحداثة الفائقة الذي يتواصل مع أشباهه بالوسائط في ظل الحياة الميديولوجية المعولمة، حيث لم تعد وحدة العالم حلماً فلسفياً مثالياً ولا انشغالاً ماركسياً ولا تطلعاً نخبوياً، بل صارت تحققاً علمياً زالت عبره الحدود بين الأوطان والجغرافيات، وظهرت المدينة المطلقة التي يسعد الفكر المعاصر بتسميتها "القرية الكونية" كناية عن صغر العالم وإمكانية القبض عليه وعلى مكوناته البشرية والجغرافية وما يتبع ذلك من خصوصيات معرفية وثقافية وسياسية، وكل ذلك بلمسة زر على جهاز الكومبيوتر الذي صار بالنسبة إلى إنسان اليوم أول الأصدقاء وآخر الأصدقاء وكل الأهل.

أنتجت الثورة الرقمية إذن "مجتمعاً جديداً هو المجتمع الإعلامي الذي تلاشت على سطح نصه الإلكتروني الحدود والخصوصيات بل تآكلت الهويات واضمحلت الفروق بين الشعوب والثقافات؛ إذ إن التبادل الرقمي الخارق للحدود العابر للقارات قد أعلن ميلاد مجموعات بشرية جديدة يصطلح عليها المجموعات السبرانية أو الافتراضية"[22]، وهذه المجموعات الجديدة لها قوانينها الجديدة في التواصل وفلسفتها الخاصة في أفعال الحوار؛ حيث يتراجع العرقي والديني والجغرافي ليتقدم إنسان / رقم يشترك مع محاوره في هذه الصفة الأساسية، إنسان باهت، بلا مواصفات فعلية، بلا هوية واضحة، إنه في النهاية افتراض إنساني. يمكن أن نقول إن هويته الممكنة أو التي نتواصل معه عبرها هي الهوية الرقمية.

لم يعد الإنسان المعاصر صاحب هذه الهوية معنياً بالغيبي كثيراً. إنه مشدود إلى الحضور والأجوبة التي يقدمها العلم لكل الظواهر في ظل تطوراته المذهلة التي تشبه الأسطورة. انحاز الإنسان الرقمي إلى المادي وأفعال الإنتاج الاقتصادي متنكراً لماضيه الحميم وهويته الخاصة التي يفترض أنها هوية متباينة من مجتمع إلى آخر، ومن فرد إلى آخر في إطار ما يصطلح عليه بالهوية الجماعية والهوية الفردية، وانغمس بوعي منه أو بغير وعي في تأسيس هوية جديدة بقيم جديدة

يباهي البعض بكونها الهوية العالمية، وينتج لها تبعاً لذلك مسميات كثيرة من مثل "الهوية الكونية"، "الهوية المعولمة"، "اللاهوية".

ويبدو الإنسان الرقمي أو الكوكبي إنساناً هارباً من ماضيه، سعيداً بحاضره ومستقبله، منخرطاً في مباهج العلم وفتوحات العولمة كما يبدو منسجماً مع مفهومه الجديد للهوية، وهو مفهوم تابع "لتغير إحساسه بذاته"[23]، تغير استلزم سقوط قيم وقيام أخرى بديلة عنها مشكلة وعياً جديداً بالذات التي يكون طموحها الأول (أو كذبتها الأولى) أن تكون عالمية أو أن تكون بلا هوية، "لا أدري لي هوية مسبقة بل إني أمارس دوماً هويتي باختلافي لا عن الغير فقط بل باختلافي أيضاً عما كنت عليه وبانفتاحي على ما لدى الغير"[24]، وما لدى الغير معرفة لا متناهية، معرفة متجددة تدعونا يومياً إلى مزيد من الانبهار، ومزيد من النسيان، ومزيد من الانتهاء.

إن نهاية الهوية بالمفهوم الكلاسيكي مرتبطة بالنهايات التي أشرنا إليها سابقاً، وبتغير دور الثقافة في المجتمع والحضارات، لقد تراجعت "الثقافة الرفيعة" – كما كان ماركوز صاحب "إنسان البعد الواحد" قد اصطلح عليها – لتتقدم "الثقافة الصناعية" التي يلازمها – في الغالب – مصطلح "النجم" كبديل عن مصطلح المثقف، والنجومية هي مجموعة مواصفات تتولى المؤسسات الاهتمام بها وفق قانون العرض والطلب حيث النجاح يتم بمقدار تأدية الدور الذي "يمثله نجم أو نجمة لا بقدراتهما الذاتية الحرة والمستقلة، ولكن بحسب قدرة أي منهما في تمثيل الصفات وتمثلها، حتى إذا تراجعت قدرات النجم الصوتية أو الشكلية تمت إزاحته ليحل محله نجم آخر"[25]. إنه العصر الرقمي الذي لا يبالي بالعبقرية الاستثنائية، كل الأرقام قابلة للتحول إلى نجوم إذا ما أتقنت متطلبات الصناعة في بيئات مولعة بتقنيات الإنتاج، وليست معنية بالإبداع بمفهومه التقليدي ولا بالفرد كإنسان،فهذا الأخير يستبدل "بمنظومة ثقافية لها طابع نجومي نموذجي ونمطي في آن واحد، وهي تمثل كتلة ثقافية ذات مواصفات فنية وتجارية تبحث دائماً عن رقم يمثلها ويؤدي الدور الذي صار ثابتاً بوصفه دوراً مطلوباً، وهو متغير من حيث من يمثلونه ويؤدونه بشرطه التام"[26].

كان المثقف شاعراً/ مفكراً/ فيلسوفاً، يحتل مكانة نبوية بشكل ما في المجتمع وفي أوساط العامة والنخبة، ويحظى "بمهابة" انطلاقاً من كونه "ملهماً" أو "مبدعاً" أو "حدسياً" فوق العادة أو "عبقرياً" على نحو خاص، غير أن الحضارة الرقمية والنظام الاقتصادي الجديد أسقطا القداسة عن مفهوم المثقف والمبدع فاختفت النظريات التي حاولت دائماً فهم سر الإبداع وتقدمت نظريات أخرى تعرض وسائل صناعة النجوم، نجوم الغناء ونجوم السينما ونجوم الشعر ونجوم السياسة ونجوم الفكر..إلخ.و كما في كل صناعة لا مجال للصدفة أو للغياب فكل عناصر الصناعة مرئية "عقلياً" و"عملياً"؛ بحيث تؤدي طرق الصناعة الواحدة إلى نتائج واحدة وبمعنى آخر إلى بضاعة واحدة. لقد "ربطت الثقافة بالفعالية الأساسية للمجتمع وهي الإنتاج والتوزيع والاستهلاك. وبذلك انطبقت عليها شروط البضاعة التجارية، فالقيمة التبادلية هي العنصر الحاسم هنا، أما الحقيقة فلا قيمة لها، واندمجت المثل السامية بالواقع، وغابت المسافة التي يشترطها أي نظر موضوعي غايته الارتقاء بالإنسان فكرياً وروحياً"[27]. هكذا صرنا نتابع مثلاً عشرات المطربين والمطربات يؤدون مشاهد العراء بصوت واحد تقريباً، يقابلهم جمهور مشابه بذوق واحد أيضاً، يتلذذ بأداء الصورة غير معني بالصوت، فهو متكرر لم يعد يحمل تلك النداءات العميقة. إنه – كما أشرت سابقاً – مشهد التلميع الصناعي – التجاري الذي طال كل المجالات مغيباً الدلالات العميقة للأشياء والمفاهيم الأصيلة للحياة الإنسانية؛ الأمر الذي يتحسر له جيل دولوز Gilles Deleuze عندما يعقب قائلاً: "قد بلغ العار مداه أخيراً حينما استحوذت المعلوماتية والتسويق التجاري وفن التصميم والدعاية، وكل المعارف الخاصة بالتواصل على لفظة المفهوم ذاتها وقالت: هذه مهمتنا، نحن الخلّاقين، إنما نحن منتجو المفاهيم نحن وحدنا أصدقاء المفهوم، نجعله داخل حاسوباتنا. يصبح الإعلام هو الإبداعية، والشركة هي المفهوم"[28]. وهكذا صارت المفاهيم تعادل "المنتجات التي يمكن بيعها". والحركة العامة التي أبدلت بالنقد التطوير التجاري – لم يفتها التأثير على الفلسفة. أصبحت الصورة الوهمية، أو إيهام علبة الماكرونا، المفهوم الحقيقي،

وأصبح المقدم، العارض للمنتوج، سلعة كان أو لوحة فنية، هو الفيلسوف أو الشخص المفهومي أو الفنان"[29]. إنه عصر التقنية الجديدة والمفاهيم الجديدة أيضاً للمبدع والمفكر والفيلسوف.

إذا انتقلنا من نهاية المثقف، كقيمة إنسانية جوهرية وبداية فكرة النجم كقيمة بديلة من قيم العصر الرقمي، إلى الحياة الاجتماعية، فسنصادف شعارات الحضارة الرقمية البرّاقة التي نفجع عند قراءتنا لها؛ حيث يتبدى لنا انكسارنا الإنساني عميقاً مؤلماً. يتم الحديث في القرية الكونية عن فكرة الجوارية انطلاقاً من إمكانات التواصل المدهشة، ويسعد كل الناس بهذا الإنجاز العلمي الأكثر خارقية على الإطلاق. أخيراً صار الإنسان مواطناً عالمياً يقطن بجوار كل "إخوته"، وسيدفع هذا الإنسان ضريبة هذه السعادة الوهمية عندما يحتاج حقاً إلى جاره الإنسان فلا يجد له جاراً. إن النتيجة الواقعية لهذا الإنجاز هي أنه لم يعد أحد جاراً لأحد في القرية الكونية أو المدينة الرقمية، بل ما حصل هو أن أفراد الأسرة الواحدة صاروا جيراناً من الدرجة الأخيرة. لقد أنتج الزمن المعاصر أنماطه الخاصة للتواصل؛ حيث نجحت التكنولوجيا في التحكم في الأمكنة والأزمنة بشكل هائل، وأصبح سلوك الإنسان الناتج عن هذه الأنماط التواصلية تابعاً لشبكات معقدة توجهها فئات محددة ضمن توازنات النظام وأولويات اختياره. ومن ثم فما يسمى بوسائط التواصل أصبح لها دور وجودي كاسح ومؤثر في سلوك الأفراد والجماعات، لدرجة أنها خلقت، داخل المجتمع ما أسماه ماركوز سابقاً بـ"مجال الخطاب المغلق"[30].

لا يختلف الأمر إذا تأملنا العلاقات الحميمة بين المحب ومحبوبه أو الزوج وزوجه. لقد صارت محكومة بالقوالب الإنتاجية والروابط الاقتصادية أكثر مما هي محكومة بالعاطفة الإنسانية الحميمة، ثم إن وقت الحميميات اختزل بشكل كبير؛ مما أدى إلى غربة داخلية، فانتشرت أمراض "التوحد" و"العزلة". إن التقنية السريعة قضت من جهة أخرى على سحر الأشواق وملذات الانتظار وبريق الأحلام الذي لطالما صاحب الرغبة في لقاء عاطفي.

فالآخر المحبوب لم يعد يحتل مساحة في الخيال بل إنه يحتل مساحة في الآلة، لهذا هو موجود دائماً عبر الهاتف أو عبر الإنترنت، وهما فضاءان متاحان في كل بقعة، غير أن ذلك الوجود هو وجود مادي فقط يكشف - في الغالب - عن غياب كبير في أعماق الذات الإنسانية. لقد فقد الإنسان الرقمي فلسفة الامتلاء بالآخر وتحول هذا الأخير إلى احتياج خارجي لا ضرورة داخلية، إنه تحقق فعلي، بغض النظر عن طبيعة هذا التحقق (امتلاك جسدي، امتلاك لغوي، امتلاك زماني...)، وإمكانية هذا التحقق المستمر تجعل الإنسان الرقمي غير معني بشعرية الحلم وغير معني بانتظار الغد. لقد غيّب الواقع سحر الوهم وحاجة الإنسان إلى توهّماته، تلك الحاجة التي وقفت وراء أعمال إبداعية وفنية خالدة. تقول الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي بنبرة رومانسية آسفة على رحيل كثير من التقاليد الإنسانية وعلى رحيل الحب "الكلاسيكي" الذي بات متحفياً بالنسبة للإنسان الرقمي: "نسي الناس في هذا الزمن المسرع المجنون لغة العيون، التي كانت لغة الإنسان الأولى لنقل أحاسيسه للآخر. حتى في الأفلام لم يعد الناس ينظر بعضهم إلى بعض مطولاً... تلك النظرات المؤثرة الآسرة... أنكون انتهينا لأننا بدأنا نتكلم لغة التلفون ولغة التلفزيون ولغة الإنترنت ونتبادل الأشواق عبر الرسائل الهاتفية والتلفزيونية ومن خلال "الشات" دون أن نرى عيون من نتحدث إليه ولا هو يرى عيوننا. جميعنا عيوننا على الشاشة وقلوبنا جميعاً معلقة بجهاز يتحكم في مزاجنا وأحاسيسنا"[31]. وتضيف الكاتبة: "...ماتت الأحاسيس العاطفية الكبيرة بسبب تلك "الأفراح التكنولوجية" الصغيرة التي تأتي وتختفي بزر منذ أن سلمنا مصيرنا العاطفي للآلات"[32]. نعم لا يمكننا أن ننكر السعادة التي تحققها تكنولوجيات التواصل لكل الناس دون استثناء، لكننا لا يمكن أن ننسى أيضاً المباعدة التي أحدثتها هذه التكنولوجيا بين الإنسان وأناه العميقة الضاربة بجذورها في تاريخ الحب والحلم والهشاشة اللامتناهية، لقد صار بعيداً عن "قلبه" غريباً عن نفسه. ولعل هذا ما دفع الباحثة شيري تيركل "Sherry Turkle" إلى دق ناقوس الخطر الذي يتهدد

الحياة الإنسانية الحميمة، وذلك عبر مجموعة من المؤلفات المتتابعة ذات العناوين الدّالة؛ فالناس - برأيها اليوم - مرتبطون رقمياً لكنهم وحيدون واقعياً "Connected but Alone" وهم ينتظرون من التكنولوجيا ما لا ينتظر بعضهم من بعض: "Alone Together: Why we Expect More from Technology and less from Each Other" وهم يعيشون على الشاشة في حالة توحد مع الآلة وينسون حياتهم الطبيعية "Life on the Screen : Identity in the Age of the Internet".

إن هذه التغيرات الحاصلة في عاداتنا العقلية واليومية آلت بنا إلى الغربة والعزلة والوحدة في النهاية، ثم إن تراجع الروحاني عند الإنسان الرقمي الذي تسهل له التكنولوجيا تغيير هويته باستمرار ضخّم تلك الغربة والعزلة أيما تضخيم "فمئات الملايين من البشر الواقفين على عتبة الألف الثالثة ينتمون إلى فئة "المجتثين من جذورهم" و"المنفيين". والبشر إذ يحرمون من الطاقات الروحية التي يمدهم بها عالم الداخل يعيشون في ظل القلق واليأس. إن تفاقم عدد المنتحرين ومتعاطي المخدرات بين الشباب لهو واقع منذر ومقلق "فكيف نقنع الآخرين ونشعرهم بأن اللانهائي يقيم في نهائي كل برهة وبأية وسيلة نعلن عالياً ونقنع بمبلغ أهمية الحياة"[33]. إن تراجع الروحاني في الإنسان وانعدام درجات الإيمان به والأمان فيه يفرّغ الحياة من جوهرها العميق، وإذ ذاك يفسح المجال واسعاً أمام أمراض القلق واليأس والعدمية ففي الأزمنة الحديثة حين "أفلت الأقانيم وساخت الأصول والقيم بلا رجعة، عسعس ليل العدمية وتسلطن ليل الخواء واللامعنى، فصار الإنسان الحديث من غير ذاكرة ومن غير أصل يجأر إليه أو وطن أصلي يفزع إليه"[34]، ولنتخيل حياة تغيب عنها مفاهيم الأصل الأول والمكان الأول والزمان والوطن... إلخ.

إنها الطبيعة عندما تتنصل من طبيعتها والعالم عندما يفقد "عذريته الأولى وبراءته الأصلية ويصير ورشاً صناعياً عملاقاً ومختبراً للتجريب العلمي التقني"[35]، الذي تحول معه الإنسان المعاصر تلقائياً إلى ما يشبه الحيوان، لا دين له، لا حب ولا إرادة.

3 - تواطؤ الرقمي والتقني على تحوير القيم الإنسانية

تطور العلم في القرن الماضي تطورات مدهشة ولّدت ما يمكن تسميته "فوبيا العلم"، وقد يقول قائل متفائل وسعيد جداً بإنجازات العقل هل ثمة "فوبيا " للعلم أو هل ثمة علم يثير الفوبيا؛ ذلك أن العلم كان دائماً رديفاً للنور وللسعادة وللصحة الإنسانية والراحة النفسية.ما الذي تغير إذن؟ لقد تغير الإنسان "العالم" الباحث باستمرار عن الممكن الخارق بغية الوصول إلى المستحيل، وقد تحقق المستحيل وما يزال يتحقق مثيراً الراحة حيناً والألم أحياناً كثيرة، مثيراً الفرح عند البعض والخوف الشديد عند البعض الآخر. يقول العالم الأمريكي "نوربرت وينر Norbert Wiener" الذي كان أول من استعمل مصطلح "السايبرنيتيه": "إن الذين أسهموا في العلم الجديد يجدون أنفسهم في وضع أدبي لا تتوافر فيه الراحة التامة. لقد أسهموا في علم جديد يشتمل على تحسينات تقنية تنطوي على احتمالات عظيمة للخير والشر. ولا نملك إلا أن نسلمها للعالم القائم من حولنا، وليس لنا الخيار حتى في هذه الأفكار. إن أفضل ما نستطيع فعله هو أن نسعى إلى جعل الجمهور العريض يفهم الاتجاه والنتائج التي يحملها في طياته العمل الراهن. ثمة من يؤمنون أن الخير الذي يقدمه هذا المجال من البحث نحو فهم أفضل للإنسان والمجتمع يفوق الإسهام الذي يقوم به من أجل تركيز القوة. إنني أكتب هذا في العام 1947، وأنا مضطر إلى القول إن هذا الأمل ضعيف جداً"[36]. إن ما تنبأ به وينر عام 1947 بشأن استخدام العلم لأجل تركيز القوة قد حصل، وما تنبأ به جورج أورويل في روايته "1984" التي نشرت عام 1949 بشأن المجتمع المعلوماتي قد حصل أيضاً إلى حد مدهش، وما تنبأ به ألدوس هكسلي في كتابه "عالم جديد مدهش" الذي نشر عام 1932 بشأن تطورات الكائن الإنساني قد حصل أيضاً. ما كان خيالاً علمياً ووظف في تصورات روائية صار حقيقة، وإذا كان القراء أصيبوا بالرعب - آنذاك - لمجرد تصور إمكانية حصول هذا "التخيل" فماذا يقول قراء زمننا الذين يعيشون الخيال المتطرف تحققاً فعلياً؟

لقد أسهم العلم بمنجزاته الخارقة - منذ النصف الثاني من القرن الماضي

إلى يومنا هذا – في تبلّد الحياة النفسية والعاطفية للإنسان؛ حيث فعل البرمجة التابع للآلة يطغى على أصالة الفعل الإنساني وبراءة الطبيعة. لم يعد اليوم - مثلاً – ميلاد الإنسان مرتبطاً بلحظة حب بين زوج وزوجة بالأساس دون أن "يبرمجا" صبياً أو صبية. ههنا منفعة حياتية وإنجاز علمي يهب لمن يشاء من الآباء بنتاً بنتاً، ويهب لمن يشاء من الآباء ولداً ولداً لقد خسر الإنسان لذة المصادفة وبهجة الانتظار وفضول الرحلة التي ترافق مرحلة الحمل كلها، وأبعد من هذا فقد عُمْق الرضا "بمشيئة" الله؛ لأن العلم المعاصر الرهيب حقق له قدراً آخر. أبعد من فرصة الاختيار هذه، يمكن للآباء – على الأقل الأرستقراطيين منهم – أن يطمئنوا تماماً على مستقبل الإنسان، فعما قليل وبتطور البحث الجيني سينتظرون طفلاً عبقرياً مميزاً؛ لأنه سيتم إنتاجه بعناية كبيرة، عبر انتقاء دقيق "ههنا كائن حي راق ولد وقد حدد تركيبه الوراثي، سلم إليه جاهزاً، كمثل بكثيرة أو نبات يتكاثر بالعُقل"[37]، لا يتوقف الأمر – إذن – عند "تقنيات" اختيار جنس المولود، بل تُقدم التكنولوجيا اختيارات أعمق وأنسب. ولما يكبر الصبي يمكنه – بدوره – أن يختار ما يناسب جسده. لم يعد "ذكر" اليوم مجبراً على الاستمرار في ذكورته، كما لم تعد "أنثى" اليوم مجبرة على الاستمرار في أنوثتها، لقد أصبح ممكناً تعديل ذلك عبر تقنيات العلم تلبية لرغبات أفراد أو "شواذ" لم يسعدوا بطبيعتهم الأصلية أو ملّوا – في عصر الملل – من بعض مظاهر هويتهم الساكنة فغيروا ذواتهم "الأولى" إلى ذوات ثانية تلذذاً بجسد جديد وأحلام عاطفية مغايرة ووجود إنساني من "فصيلة" أخرى. إنه في الحقيقة " الإعلان عن موت الإنسان ككائن تاريخي أسس وعيه داخل أحداث التاريخ، تحولاً وتقلباً، وميلاد كائن بيولوجي لا ماضي له ولا أصل، كائن الآن واللحظة، يعمل لصالح المادي والاقتصادي بدل الروحي والإنساني"[38]، وواضح أن هذه الهوية الجديدة التي صنعتها التكنولوجيا الحديثة بماديتها جعلت الإنسان حيواناً حيناً وعبداً حيناً آخر؛ فغابت القيم الروحية وقيم الحرية وقيمة التفكير نفسه، وطغت العبودية والقوة، عبودية المادة والآلة،

وصار ينظر إلى الإنسان على أنه مجموعة "تقنيات" نافعة اقتصادياً. وهذا الإنسان من جهته يتهيأ لمراحل تقنية جديدة. فمنذ استنساخ النعجة "دوللي" بدأنا ننتظر مجيء كائنات مخبرية أخرى. نسترجع في هذا السياق البطل غريغوري في رواية "المسخ" لكافكا Franz Kafka الذي استيقظ ليجد نفسه وقد تحول حشرة ضخمة. كان هذا خيالاً في رواية وصفت بالعبثية لكن العبث الأدبي – حين كان الأدب يعني الإبداع العميق للحياة– صار مشروعاً للعلماء. لقد أتى على الإنسان المعاصر حين من "الحيوانية" يسمح بإمكانية تبادل المواصفات بينه وبين الحيوانات عبر منجزات البيوتكنولوجيا، بل بينه وبين الأجهزة المادية، كالتفكير العلمي بمنح الحاسوبات "شعوراً" على اعتبار أن ما لم يحك بعد في الاختراعات العلمية هو شعور الإنسان، تلك المشكلة أيضا سيجتهد العلم في حلها. إن العلم اليوم يمارس فعل استبدال عنيف، فتطوير الحيوان إلى إنسان، وتطوير الآلة عبر الذكاء الاصطناعي إلى إنسان "يشعر" يقابله – عملياً – نزع الشعور عن الإنسان بتحويله – على مراحل – إلى آلة تستعمل "عقلها" و"يدها" مستغنية – أو مجبرة على الاستغناء – عن عاطفتها ومكوناتها الروحية والإيديولوجية الخاصة. سنضطر في هذه الحالة إلى إعادة تشكيل مفهوم الهوية الإنسانية والكائن الوجودي. لعل هذا ما يفزع منه بعض المفكرين وفي مقدمتهم رجال الدين "فإذا كان ما يمنحنا الكرامة والمنزلة الذهنية الأعلى من الكائنات الأخرى مرتبطاً بحقيقة أننا كل معقد لا مجرد حاصل جمع أجزاء بسيطة، فسيصبح من الواضح ألا وجود لإجابة سهلة على السؤال: ما العامل س؟ نعني أنه لا يمكن اختزال العامل س إلى امتلاك الخيار الذهني، أو العقل، أو اللغة، أو الاجتماعية، أو الوعي الأولي أو الانفعالات، أو الشعور، أو أية سجية قدمت كأساس للكرامة البشرية. إن ما يؤلف العامل س هو هذه السجايا وقد جمعت سوياً في كل بشري. كل فرد من جنس الإنسان يمتلك هبة وراثية تهيئه لأن يصبح إنساناً كاملاً، هبة تميزه إنساناً في الجوهر عن غيره من الكائنات الأخرى"[39] الكائنات التي وجدت من قبل أو تلك التي ستوجد عبر اختراعات الثورة

البيوتكنولوجية،و هذا ما سيؤثر على الهوية الإنسانية ويسحب منها تدريجيا قيم الاختلاف كما سيثبت قيم التشابه.

ينتج مما سبق عنف رمزي يتميز به هذا الزمن اللاهووي ونلحظ تأثيراته على كل مناحي حياتنا. إننا نواجه – على الأقل كقراء مخضرمين – عايشنا عهد الكتابة الخطية الورقية ثم عهد الكتابة الإلكترونية، وتمّ الانتقال عبرنا من الإنسان الكلاسيكي نحو الإنسان الرقمي السبراني cybernitique – مأزق العبور. لقد تحدث الفلاسفة والمفكرون باستفاضة عن أخطار التقنية وأهوال العلم على العالم عندما يتحول إلى منجزات تقنية قاتلة، ولم يستفيضوا – بالشكل نفسه – في الحديث عن العواقب النفسية للوجه السعيد للتقنية، وهي عواقب قاتلة أيضاً وإن كانت تمارس القتل الرمزي لا القتل المباشر.

ما من أحد على استعداد للتنازل عن "فوائد" التكنولوجيا الرقمية بعدما اختصرت لنا المسافات واقتصدت لنا الزمن وسهّلت لنا سبل اللقاء مع الآخر بكل ثقله البشري والمعرفي والثقافي..,.لكن ماذا بعد الفائدة؟ شيء ما في طبيعتنا الآدمية الكلاسيكية ينطوي على نفسه في تجربة حنين حادّة إلى بعض قيم الماضي، قيم نعتقد أنها الأجمل على الإطلاق. إننا نحنّ إلى أصدقاء يمتلكون هوية حقيقية، هوية تشبه هويتنا كثيراً أو قليلاً أو تختلف عنها تماماً، لكنها في جميع الحالات هوية "حقيقية" لشخص واقعي مختلف عن أصدقاء الهوية الافتراضية الذين نتواصل معهم لغايات نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية معينة وندرك سلفاً أننا نتواصل مع مجموعة مواصفات افتراضية قد تحيل على ذات حقيقية وقد تحيل على صورة وهمية لذات هي محض افتراض، وكل ذلك يفسد علينا تلقائية المحبة ومشروعية الثقة بالآخر مما يخلخل قيم الحوار الحضاري، التي يزعم العصر أنه هيأ لها كل الأرضيات.

أبعد من هذا نحن نحنّ إلى رسالة بريدية (منذ متى لم نتلق رسائل بريدية وما حجم هذه الخسارة؟). كم كان للرسائل ولألوانها ولأقلام الكتابة وللطوابع وللأغلفة سحر! وكم كان للمدة الزمنية بين إرسال رسالة وتلقي جوابها مساحة للانتظار الزاخر بمشاعر الشوق النبيلة التي لا يقتلها النسيان ولا ينقص من قيمتها

الابتذال بما أن القلب "الإنساني" مشغول بقصة الانتظار. لقد كنا نملك ثراء عاطفياً غير محدود وكانت أنفسنا كريمة حدّ الهبل، واليوم صار الإنسان مقتصداً في مشاعره اقتصاده في حياته كلها.

من باب اختبار هذه القضايا في الواقع اليومي وجهت مجموعة من الأسئلة ذات الصلة بالموضوع إلى عينة من طلبة الجامعة في تخصص (ماستر النقد المعاصر)، قائمة الأسئلة هي هذه:

- منذ متى لم تستعمل رسالة ورقية ؟
- برأيك أي التواصلين أهم: التواصل الإلكتروني أم التواصل الكلاسيكي؟
- ما رأيك بقضية الهوية ؟
- إذا أمكنك – مادياً – اختيار جنس مولودك أفستفعل أم تترك ذلك للمشيئة الإلهية؟

جاءت أجوبتهم على النحو الآتي :

نحو 85٪ لم يكتبوا أبداً رسالة ورقية لعائلاتهم أو أصدقائهم ويكتفون بإرسال sms.

أكد نحو 15٪ أنهم يكتبون رسالة خطية فقط إذا لم يكن معهم رصيد في هواتفهم، وهذا النوع من الرسائل القصيرة يتركونها غالباً لزملائهم الذين يقاسمونهم الغرفة بالحي الجامعي لإخبارهم بطارئ ما.

وبخصوص السؤال الثاني، أجمع كل الطلبة على أن طريقة التواصل الإلكتروني أهم من كل طرق التواصل التي كانت مألوفة، بل ذهبوا إلى حد السخرية من أشخاص يكلفون أنفسهم عناء كتابة رسالة ووضعها في ظرف والتنقل إلى البريد لإرسالها، واعتبروا مسألة انتظار رسالة ستأتي عن طريق البريد بلاهة لا تليق بالإنسان الرقمي وبعصر السرعة.

أما بشأن مسألة الهوية فقد تباينت الإجابات : فالفئة الأولى (التي تبدو عليها ملامح التشدد الديني) رأت أن الهوية الكونية نكتة، وألحت على ضرورة

الاستفادة من المنجزات التكنولوجية والعلمية الغربية دون القبول بالتماهي في العولمة الجارفة.

أما الفئة الثانية (الأغلبية) فقد صرحت بأنها مجبرة على تعديل هويتها وفق متطلبات العصر وأن الهوية العالمية ليست كارثية كما نعتقد، فالعقل الذي أنتج هذه "الخيرات" التكنولوجية لا يمكن أن يكون بالشر الذي يتخيله هذا العربي المهووس بنظرية المؤامرة.

الفئة الثالثة التي شملها السؤال هي فئة يبدو عليها التحرر أكثر من غيرها ويتوقع الدارس أنها الأكثر تنصلاً من القيم الموروثة، لكن المدهش أنها أصرت على أن الهوية قضية مقدسة وأن العنصر العرقي هو الأساس في تمييز الهويات. والمفارقة – كما نرى هي التقاء فئتين مختلفتين – تمتلكان في الغالب نزوعا عدوانيا فيما بينهما – في الدفاع عن الهوية بالمفهوم المألوف هما فئة ما صار يعرف "بالسلفية" وفئة الأقلية العرقية ممثلة بالعنصر الأمازيغي. ولعل هذه نتيجة طبيعية من نتائج الاشتغال النسقي لأجهزة العولمة، كما سنرى لاحقاً.

وبالنسبة للسؤال الأخير المتعلق بإمكانية الاستفادة من التطور العلمي في اختيار جنس المولود فقد أجمع الطلبة على إيجابية مثل هذه الاختراعات، ودافعوا عنها بحماسة مؤكدين أن الأمر لا يتعارض مع الدين، بما أنه يحقق التوازن الاجتماعي و السعادة النفسية للإنسان.

على العموم أجمع الطلبة على أن عصراً جديداً بقيم جديدة قد حل، ويمكن أن نلاحظ بيسر – في المسكوت عنه من أجوبة الطلبة – تراجع ما نسميه عادة بالثوابت والمبادئ وتقدم المنفعي. كل ما هو نافع عملياً يمكن التأقلم معه وتغيير أفكارنا وهوياتنا لصالحه،أما ما هو خارج دائرة المنفعة من قيم فيبقى ترفاً فكرياً لا يعني هذه الأجيال الرقمية. وهنا يحق لنا أن نتساءل: من المعني بعذابات الحنين هذه؟ من المعني بمأزق العبور نحو هوية جديدة مطمئنة إلى المنجز الرقمي والجيني دون قلق؟ وبعبارة أخرى هل نعيش وحدنا نحن العرب هذا الأرق ؟

سنبالغ إذا أجبنا جواباً قاطعاً، فالآخر أيضاً معني بقلق مرحلة العبور هذه، وكثيراً ما تصاعدت هواجس هذه النظرة في شكل نقمة شاملة على العصر التكنولوجي الذي جعل الإنسان رقماً أو شيئاً من أشياء الوجود. لقد قال الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر مبكراً: "لم تكن آلات التكنولوجيا وأجهزتها القادرة على القتل هي أخطر ما يهدد الإنسان، إن التهديد الفعلي كان دائماً هو ما يصيب الإنسان في صميمه. . . قانون التأطير يهدد الإنسان عندما ينكر عليه أن يطرق وحياً أكثر إبداعاً ليخبر نداء حقيقة أكثر عمقاً"[40]، وما أصاب إنسان اليوم في صميمه هو تحوله إلى "مادة استعمالية" شأنه في ذلك شأن الطبيعة. وهذه المادة هي مجال اشتغال العقل الأداتي الذي لا يلتفت إلى الحميميات التي تجمع الإنسان بذاته وبالطبيعة التي يحيا فيها وبها وعليها وعلى كل إيقاعاتها. لقد استقل العقل - بما هو وسيلة وتجريب واستنتاج - عن الإنسان - بما هو ذات حالمة، حوارية، منفتحة دائماً على الآخر وعلى الطبيعة - وأدّى ذلك الاستقلال إلى تهميش "الإنساني" والذهاب بعيداً في تقديس المادي والصناعي[41].

إن خطر المأزق الذي نعيشه - عدم القدرة كما أشرت على الاستغناء عن منجزات العقل المدهشة ورغبة الإنسان في الحفاظ على علاقته الحميمة بإنسانيته وبالطبيعة- قد أخذ عند بعض الفلاسفة مأخذ الجد، ولعل اقتراح ما يسمى "بالعقل التواصلي" عند هابرماس هو إلحاح في عمقه على إعادة الحركية إلى العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تنقذ الإنسان من وحشته ومن حيوانيته وتعيد إليه تواصله العميق بالآخرين؛ لأن ذلك هو ما يميزه وما يصنع بهاءه الإنساني وهويته العميقة "ففي مواجهة هذه الظواهر الملتبسة الناتجة عن دمار الهويات الجماعية والهويات الشخصية اللتين تشكلتا في متن الحضارات الكبرى لن يجد التفكير الفلسفي الواسع النفوذ والمتواصل مع العلوم سبيلاً له إلا عبر تحريك وحدة العقل الهشة. أي وحدة المتغاير والمتماثل التي يدفع إليها النقاش العقلاني"[42]، نقاش قد يحتاج بعض التقنين للعقل كي يحافظ العالم على قيمه الأخلاقية العميقة التي لا يمكن أن نسلم بنسبيتها واختلافها من عصر إلى آخر،

ومن ثقافة إلى أخرى، ومن قبيلة إلى أخرى؛ لأن ذلك التسليم كان دائماً وراء مبررات "اللّاأخلاقي" و"اللّاإنساني".

4 - الهوية وخطر التماهي

ما من شك في أن كل واحد منا يتساءل بكثير من المرارة : هل ثمة خطر على الهوية الكلاسيكية والهوية العربية تحديداً في ظل القيم الأخلاقية والثقافية والمعرفية الجديدة التي تطبع العصر؟ لعل الإجابة عن مثل هذه الأسئلة تختلف من فرد إلى آخر، ومن تيار فكري إلى آخر. فالسعداء بخوارق العلم وأساطيره منحازون دون حرج إلى الهوية الجديدة، ويرفعون أصواتهم عالية لمطالبة المثقف بمجاوزة قضية الهوية ومحنها إلى الانخراط في الحضارة الكونية، والتكيف مع سبل الحياة الكوكبية الجديدة، والانفتاح على كل العلوم والتخصصات والإفادة من كل المنجزات الاقتصادية العالمية؛ مما يؤدي حتماً إلى تغيير ذهنية المثقف أولاً، وتغيير الخطاب الفكري ثانياً؛ أملاً بتغيير المجتمع وتحضيره "فمن الأولى بالمثقف أن ينفتح بالذات على الذين يستبعدهم في القطاعات الأخرى لتجديد مفاهيمه واستعادة فاعليته، بالخروج من القوقعة الثقافية؛ أي مواجهة التخصص المفرط والفصل القاطع حتى لا يستمر في إنتاج عجزه وهامشيته، بترداد الكلام على الرأسمالية المتوحشة والليبرالية المتسلطة، أو بالتحدث عن خوفه على الهوية والثقافة من تطور التقنية وانفجار المعلومة في زمن العولمة"[43]. ومثل هذه التصريحات جميلة نظرياً وبراقة لكنها – عملياً – بالإضافة إلى كونها قاسية عاطفياً على الإنسان، تنكسر أمام عولمة زائفة، وديمقراطية وهمية، وحرية خادعة. وهو وضع يكشف باستمرار عن أخطار كثيرة تتهدد الذات الإنسانية في صميمها وتتهدد الهويات الإنسانية خاصة هويات الشعوب التابعة للمراكز. إن العولمة لم تلغ في الحقيقة المركزيات الكبرى كما تمّ الزعم لكنها أعطت لها وجهاً آخر فقط. إن مصطلح globalisation يعني كوكبة الكون، ومن يكوكب الكون سيفعل ذلك بحسب قيمه الأخلاقية وبحسب معاييره الفكرية والفلسفية –التي يعتقد أنها الأصلح على الإطلاق – وبحسب

مصالحه المالية والاقتصادية. بهذا تصير العولمة سلطة ممارسة على الشعوب والأفراد الذين طمحوا للتحرر من كل السلطات عبر فتوحات العولمة نفسها. سنلح في التساؤل: من يعولم العالم؟ أيقوم بذلك طرف ما أم مجموعة بشرية بعينها أم كل سكان العالم؟ الحقيقة أن الشعوب الضعيفة لا تسهم في هذه العولمة إلا باعتبارها أطرافاً هامشية مستخدمة لغايات سياسية واقتصادية، ولا يجب أن ننظر إلى المنجز التكنولوجي بمعزل عن خلفياته السياسية التي تهدف دائماً إلى السيطرة على الإنسان، فالعلاقة – بحسب الباحث عبد الله إبراهيم – بين "التكنولوجيا والسياسة أصبحت غطاء يخفي ممارسات قهرية يصعب تلمس آثارها في ظل سيادة الوعي الزائف، ولا بد من وعي أصيل لكشف الترابطات الخفية ونتائجها التي أفضت إلى ظهور مجتمع ذي بعد واحد تتماثل اختياراته وآراؤه وحاجاته؛ ذلك أن الهدف العقلاني للتقنية لا ضرر منه في حد ذاته. لكن نقل نموذجه إلى التركيب الاجتماعي كان له أبلغ الأثر في إخضاع الحياة لتقنية مأخوذة من ميدان خاص ومطبقة في ميدان له اشتراطاته وضروراته الإنسانية"[44]. لقد أقصي الفرد بوصفه إنساناً وتمت السيطرة عليه بوصفه عنصراً في بنية، وباعتباره "حاجة" تطمح دائما إلى الإشباع، ومن تم انتشرت صناعة خلق الحاجة وإشباعها، خلق الداء ودوائه، خلق الفيروس ومصل تلقيح الفيروس، خلق الأزمة وحلول الأزمة، خلق ضرورة التفكير وكيفيات التفكير... وكل ذلك في إطار الإنتاج والاستهلاك، التسويق والربح في عصر العولمة المكللة بالأحلام المخملية، أحلام الديمقراطية والمساواة والفرد الواحد هنا وهناك، والوطن الواحد المسمى القرية الكونية. منذ سنوات قدمت التلفزة الجزائرية عبر برنامجها الساخر "لفهامة" حصة بعنوان "رئيس العالم"، وكانت هذه الحصة في العمق تفكك فكرة العولمة على طريقتها الساخرة، نحن مواطنون عالميون برئيس واحد هو الرئيس الأمريكي جورج بوش، وعلينا أن نتوقف عن كل الأسئلة الموجهة إلى رؤسائنا الوهميين. من يريد أن يستفسر عن أخبار الوطن، ومشكلات الشعب، وقضايا الطلبة، وأحلام المثقفين، عليه أن يتصل عبر القمر الاصطناعي برئيس العالم، فهو مجتهد في توضيح كل شيء والتنظير

لكل شيء واقتراح الحل لكل شيء. أليس في هذا راحة لبقية الساسة والمسؤولين ؟؟ بما أن العالم قرية واحدة فهي لا تحتمل أكثر من "عمدة"!!

لقد هددت العولمة الهويات الإنسانية قاطبة مع اختلاف النتائج من مجموعة بشرية إلى أخرى، فالإنسان الغربي صاحب الخوارق العلمية والفتوحات العولمية وجد نفسه أسيراً حائراً حيث فقد معظم الناس ما كان يؤمن هويتهم ووقفوا عاجزين "عن الاستناد إلى يقين يفترض أن توجده المؤسسات المنتشرة في المجتمع، وفي الأقل ليس لديهم قوة ذاتية تؤمن لهم الاستقرار النفسي"[45]، كما يؤكد هابرماس، وعندما ننتقل من الإنسان الغربي الرقمي بامتياز إلى الإنسان العربي- الذي يحلم بدوره برقمية مطلقة - سنجد المعضلة تتضاعف. لقد شكّلت القيم الأخلاقية والروحية باستمرار سنداً كبيراً لهذا العربي الضعيف، ولطالما حقق انتصاراته ضد المستعمر بوحي منها، لكنه اليوم يقف مذهولاً، منشطراً، فاقداً لهذا الدعم الروحي الذي شكل أساسا قويا من أسس هويته.

يدافع البعض عن الهوية البديلة، الهوية العالمية - كما أشرنا سابقاً - لكنها هوية مستحيلة على ما يبدو؛ لأن العولمة محكومة بقيم وهوية من يتحكم في زمامها "فعلى الرغم من أن الدعايات الرسمية تؤمن بأن العالمية تتخطى سيادة الدول القومية فإن العالم الذي تستحضره العالمية في الواقع وبالفعل يبقى مهيكلاً وفقاً لتراتبية هرمية تكون فيها الأمم التابعة مهموكة وفق تسلسل زمني في مشروع تقديم نفسها على المسرح theatricalizing بوصفها أمماً مقصرة ولاهثة وراء الركب catcher uppers بشكل أبدي"[46]. إن المغلوب مولع بالركض وراء الغالب كما قال ابن خلدون قديماً، والعالمية من هذه الزاوية تمثل بالنسبة للشعوب المتخلفة مزيداً من العقد تجاه الآخر المتقدم، المتحضر. ومن هنا فهي عندما "تواجه البلدان المتخلفة، تميز فضاء اللاتناسب، حيث الأنماط الدولية والبين دولية للتنظيم والتماثل تؤرخن historicise اللاتزامن a-synchrony المتبادل"[47]، هذا من جهة وهم اكتساب الهوية العالمية، ومن جهة أخرى نلاحظ أن العولمة التي تحاول "تذويب" الهويات الكبرى، وتذويب التمايزات الثقافية والمرجعيات التاريخية، فهي لا تفعل ذلك لأجل المساواة والديمقراطية

– كما هو الزعم – ولكن النتيجة هي تفريغ الشعوب من قوتها الداخلية ومن مقومات هويتها الأصلية حتى تصير أجساداً خاوية أو أرقاماً متلاصقة. المفارقة الحاصلة هي الاهتمام "بالهوامش" والأقليات العرقية والدينية واللسانية، والتنظير لحقوقها السياسية والثقافية ودعمها المادي والمعنوي. الهويات القومية والوطنية أوهام شعبية ونخبوية ولّى زمانها بينما الهويات الهامشية داخل الثقافة الواحدة أو الشعب الواحد يُشجع عليها. هكذا تختزل مثلاً هوية مصر في فرعونيتها وهوية الجزائر في أمازيغيتها في عملية تغييب مقصودة لمعطى الهوية العربية الإسلامية. ويحتفل الناس حيناً بالهامشي في هويتهم وحيناً آخر بكونهم مواطنين عالميين رقميين يحلمون بالسياحة على أرض الوحدة الإنسانية، والتسوق السوي في متاجر القرية الكونية، ناسيين أو متناسيين أنه ما من هوية تتحقق إلا في ارتباطها مع ذات "قريبة" ومعروفة على الأقل، ما من هوية تتحقق إلا في ارتباطها بشيء ذي أصل إنساني (مؤسسات، معايير، قيم. . .) أو طبيعي (محيط فيزيقي)[48]، وناسين أو متناسين أيضاً أن السياحة على القمر متاحة للأغنى مثلما هو السوق متاح للأقوى.

إن الخطر الذي يتهدد الهوية بمفهومها الكلاسيكي يهدد في الوقت نفسه مفاهيم القومية وثقافة المقاومة عبر آليات العالمية والأحلام المعاصرة والحرية للجميع، حيث الخطاب السياسي المؤسس في ظل العولمة يسقط من قاموسه عبارات الوطن والمقاومة والاستقلال وتقرير المصير وما إليها من العبارات التي كان يحفل بها الخطاب العربي في النصف الأول من القرن الماضي. ويبدو أن هيدغر كان متنبئاً بهذا الوضع وسباقا إلى التحسر على بعض هذه القيم عندما اعتبر أن "غياب الوطن صار قدراً عالمياً"[49]، وهو قدر تعاني مرارته – فيما يبدو – الشعوب الصغيرة التي كانت تحلم بأوطانها عبر فعل المقاومة والإيمان بالحق في تقرير المصير، ثم وجدت نفسها تدخل نظام تنميط السلوك البشري وفق ثقافة أمريكية يروج لها بشعار العالمية، ولا عجب في ذلك؛ فالعالم هو أمريكا، والجندي الأمريكي موجود في معظم بقاع العالم ويحلم بالوجود في كل الأمكنة، كل ذلك باسم الديمقراطية والمجتمع الحديث. ولعل أساليب الوجود

تغيرت عن ذي قبل، منسجمة مع الاختراعات العلمية المعاصرة، فقد ورد في تقرير الشؤون الخارجية الأمريكية ما يلي: "يمكننا أن نحقق بعض أهداف سياستنا الخارجية من خلال التعامل المباشر مع شعوب الدول الأجنبية بدلاً من التعامل مع حكوماتها. ومن خلال استخدام أدوات وتقنيات الاتصالات الحديثة يمكننا اليوم أن نصل إلى قطاعات كثيرة أو مؤثرة من السكان في هذه البلاد، و أن نقوم بإعلامهم والتأثير في اتجاهاتهم، بل يمكن - في بعض الأحيان - أن نحرضهم على سلوك طريق عمل معين"[50]. وعندما نتابع ما يجري في العالم من تغيرات ندرك مغزى هذا القول الذي صدر منذ أكثر من عقدين.

خاتمة

في ختام هذا البحث نشير إلى أن القلق على الهوية وعلى الأخلاق والقيم في العصر الرقمي قلق يتضاعف عبر العالم؛ لأنه قلق مشروع، فإنجازات الرقمية والبيوتكنولوجيا تحمل تهديدات للعمق الإنساني، فليذهب إلى الجحيم الأهل والأصدقاء الذين لا يجيدون الحياة على الشاشة، وليعش أصدقاء لوحة المفاتيح، فليمت الإنسان كإنسان وليعش الجسد الذي تشتغل بحوث الخلايا الجدعية على تحسين خلاياه وتجديد أنسجته، ولتمت أجنة الصدفة ولتعش الأجنة المنتقاة بعناية ودقة قبل أن تزرع في الرحم ليجيء منها أطفال الكمال، كمال الجمال، وكمال الذكاء، وكمال النسب، وكمال السلوك. ولتمت الثقافة ولتحي الصناعة التي تلبي غرائز الناس ورغباتهم,,.لقد تساءل الفيلسوف فوكو ياما : ما الذي يجب على الساسة القيام به إزاء هذا الإنسان البيوتكنولوجي؟ والإجابة بالنسبة لهذا الفيلسوف واضحة - كما يقول -: "علينا أن نلجأ إلى سلطة الدولة لتنظيمها. فإذا ما اتضح أن هذا يفوق قدرة أية دولة بمفردها، فلا بد أن يكون التنظيم على المستوى الدولي. علينا من الآن أن نبدأ التفكير بشكل واقعي حول الطريقة التي نقيم بها مؤسسات قادرة على أن تميز بين الاستخدام الطيب والاستخدام الخبيث للبيوتكنولوجيا، وأن نفرض بشكل فعلي قوانين وطنية وقوانين دولية"[51]. إن الأمر في اعتقادي لا يتوقف فقط عند قوانين

تضعها الدولة أو الدول – لأنها ستخرق كالعادة من قبل دولة أو دول – لكن المسألة الأساسية هي إعادة الاعتبار للإنسان والعمل على عودة القيم التي ترفع من شأن هذا الإنسان عالياً. وهو دور يخص رجال الفلسفة والأدب والفكر، فهم الذين اعتنوا – على مر الزمن – بحقوق "الفطرة" البشرية وبحماية التراث النفسي للإنسان وتفعيله باستمرار. هم الذين كرسوا – عبر إبداعاتهم الفنية العميقة – الحفاظ على شعرية الصدفة التي هي في النهاية الرضا العميق باختيارات الذات الإلهية للذوات الإنسانية. وهم الذين يلحون اليوم على أن يكون الإنسان أغلى – ولو قليلاً – من الرصاصة أو الفيروس الذي يخترقه ويرديه قتيلاً لمجرد أنه فكر بذاته ووطنه وهويته ولم يشأ أن يبقى رقماً ضمن ركام الأرقام المكدسة على سطح القرية الكونية، أو لمجرد أن مخبراً لصناعة الأدوية على عتبة الإفلاس.

الهوامش والمراجع

(1) فوكوياما، فرنسيس: **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة: حسين محمد أمين، ط1، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993.

(2) حرب، علي: **حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية**، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2000، ص 44.

(3) مصدق، حسن: **يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية**، ط1، بيروت: الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005، ص 103.

(4) ماركوز، هربرت: **الإنسان ذو البعد الواحد**، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت: دار الآداب، 1973، ص92.

(5) معلوف، أمين: **الهويات القاتلة**، ترجمة: نبيل محسن، ط1، دمشق: دار الحصاد، 199، ص13.

(6) - Marchal,Hervé : **l'identité en question**, Paris, ellippses edition,2012,p03.

(7) ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط 3، ج15، بيروت: دار صادر، 1414هـ، ص375–376.

(8) الفارابي، أبو نصر: **التعليقات**، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1346هـ، ص21.

(9) - **Dictionnaire Petit Larousse** ,Paris, librairie Larousse, 1980, p 470.

(10) - **Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English**, Oxford university press, fifth edition,1995, p 589.

(11) المناصرة، عزالدين : **الهويات والتعددية اللغوية**، ط1، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004، ص35.

(12) الهويات والتعددية اللغوية، ص26.

(13) الزين، محمد شوقي : **إزاحات فكرية مقاربات في الحداثة والمثقف**، ط1، منشورات الاختلاف، 2005، ص 58.

(14) أبراش، إبراهيم : **الفكر العربي ومسألة الهوية في عصر العولمة**. www.palnation.org.

(15) الهويات والتعددية اللغوية، ص 47.

(16) - De Gulejac, Vincent: **Vocabulaire de Psychosociologie- références et positions,** Paris, 2002, p174.

(17) - Finkielkraut, Alain: **L'identité malheureuse**, Paris,editions stock.

(18) - L'identité en Question, p 111.

(19) حرب، علي : **تواطؤ الأضداد الآلهة الجدد وخراب العالم**، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص28-29.

(20) تواطؤ الأضداد الآلهة الجدد وخراب العالم، ص 29.

(21) إزاحات فكرية، ص 61.

(22) بارة، عبد الغني: **الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي**، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص 400.

(23) الهويات والتعددية اللغوية، ص47.

(24) حرب، علي : **النص والحقيقة الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة**، ط 1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1995، ص 108.

(25) الغذامي، عبد الله: **الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي**، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2004، ص 12.

(26) الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي، ص12.

(27) إبراهيم، عبد الله : **المطابقة والاختلاف بحث في نقد المركزيات الثقافية**، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ص665.

(28) دولوز جيل، غاتاري، فليكس : **ما هي الفلسفة**، ترجمة: مطاع صفدي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997، ص 35

(29) ما هي الفلسفة، ص35.

(30) أفاية، محمد نور الدين : **المتخيل والتواصل مفارقات العرب والغرب**، ط1، بيروت: دار المنتخب العربي، 1993، ص 173.

(31) مستغانمي، أحلام: **نسيان. كوم**، بيروت: دار الآداب، 2009، ص 117.

(32) نسيان. كوم، ص118.

(33) لنسن، روبير: "أهمية الحياة في الحاضر"، **مجلة معابر الإلكترونية**، العدد الرابع.

(34) الشيكر، محمد: **هيدغر وسؤال الحداثة**، المغرب: إفريقيا الشرق، 2006، ص 145.

(35) هيدغر وسؤال الحداثة، ص137.

(36) الخوري، أديب: "الإنسان والإنسان الآلي"، **مجلة معابر الإلكترونية**، آذار 2004.

(37) فوكو ياما، فرانسيس: **نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجية**، ترجمة: أحمد مستجير، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003، ص12.

(38) الهيرمينوطيقا والفلسفة، ص 386.

(39) نهاية الإنسان، ص 235.

(40) نهاية الإنسان، ص27.

(41) المسيري، عبد الوهاب: "العقل الأداتي والعقل النقدي"، **مجلة الهلال**، العدد4، سنة 1995، ص 64.

(42) هابرماس، يورغن: **الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي**، ترجمة: نظير جاهل، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1995، ص 47-48.

(43) حديث النهايات، ص 157.

(44) المطابقة والاختلاف، ص 664.

(45) المطابقة والاختلاف، ص 667

(46) جاغار، كريشنان وبارلو، كينتز: **الدرجة الصفر للتاريخ أو نهاية العولمة**، ترجمة: عدنان حسن، ط1، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2004، ص 63.

(47) الدرجة الصفر للتاريخ أو نهاية العولمة، ص 63.

(48) - L'identité en Question, p153.

(49) هايدغر وسؤال الحداثة، ص 145.

(50) الشهري، زايد: "الغزو الإعلامي للدول النامية"، **مجلة الحرس الوطني**، العدد 91، السنة الحادية عشرة، أفريل 1990م، ص 51.

(51) نهاية الإنسان، ص 37.

المجلة التربوية

مجلة فصلية، تخصصية، محكّمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير: أ. د. عبدالله محمد الشيخ

تنشر:

- البحوث التربوية المحكمة
- مراجعات الكتب التربوية الحديثة
- محاضر الحوار التربوي
- التقارير عن المؤتمرات التربوية وملخصات الرسائل الجامعية

- تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.
- تنشر لأساتذة التربية والمختصين بها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية.

الاشتراكات:

في الكويت: ثلاثة دنانير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول العربية: أربعة دنانير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول الأجنبية: خمسة عشر دولاراً للأفراد، وستون دولاراً للمؤسسات.

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير المجلة التربوية - مجلس النشر العلمي ص.ب. ١٣٤١١ كيفان - الرمز البريدي 71955
الكويت هاتف: ٢٤٨٤٦٨٤٣ (داخلي ٤٤٠٣ - ٤٤٠٩) - مباشر: ٢٤٨٤٧٩٦١ - فاكس: ٢٤٨٣٧٧٩٤

E-mail: joe@ku.edu.kw